۞ الإرهاب من نظرة الأديان الإلهية

✍ **د. كمال الدين أوزدمير**
أستاذ الحديث
– جامعة تركيا–

كشفت هجمات **11** سبتمبر عن وجه الإرهاب المظلم على حقيقته التامة مرة أخرى، وأصبح الناس اليوم يخافون من التعرض على الإرهاب وهم يجلسون في بيوتهم ، أو يشاهدون فيلما في سينما ، أو يتحولون في مركز تجاري، أو يسافرون في حافلة، أو يعملون في محل عملهم وسبب هذا الوضع هو حالة روع وارتباك، وتوتر دائم، وتوقع كارثة بين الناس، وبما أنّ المتّهمين بالمسؤولية عن تلك العمليات يحملون هوية المسلم، تشكّل اقتناع خاطئ لدى العامة بأنّ المسلمين يمكن أن يكونوا هم الذين نفذوا تلك العملية المروعة، وبعبارة أخرى، كان هناك موقف مبيّت من قبل أعداء الإسلام لتشكل ذاك الاقتناع. وقد حاول بعض الناس أن يكون العالم الإسلامي كلّه متهما. ويتابع الناس اليوم موقف الولايات المتحدة الأمريكية من هذا الحدث من جهة، ومن جهة أخرى يلاحظون أن هناك محاولات لتكوين فكرة لا شعورية لدى الناس بأن هناك قرابة بين الإسلام والإرهاب، حيث يكثر بعض الإعلاميين من ذكر هاتين الكلمتين مقترنتين باستمرار، وهذه المحاولة من أجل اقتران الإسلام الذي هو حقيقة منبع السلام والأمان والسعادة بالإرهاب قد آذت المسلمين في العالم كلّه.

وإذا أمعنا النظر في التعليقات، يظهر لنا أنّ أساس هذه الاقتناع الخاطئ هو عدم معرفة الناس حقيقة الإسلام، وعدم البحث عن الإسلام في مصادره الأصلية. لقد كان الناس يبنون أفكارهم على ما يرون من تصرفات بعض المجموعات التي تدعى الانتماء للإسلام، ووراء هذا كلّه محاولة إظهار المسلمين كإرهابيين.

وقد قال الرئيس الأمريكي في خطابه الذي ألقاه بعد شهر من الحادث بتاريخ **11** أكتوبر، إنّ الحرب التي أعلنوها ضد الإرهاب ليست لها علاقة بتاتا بالفروق الموجودة بين العقائد، بل هي متعلّقة باتّحاد ناس من جميع الديانات لتوطين الحقد والإساءة والقتل والعدوان[1]. وكان الذين أدانوا ذاك الحدث يتحدثون عن الإسلام على أنّه دين سلام وتسامح، ورحمة بالناس، وعدل بينهم. والكثير من رؤساء الدول، ومؤسسات الإعلام، وقنوات التلفاز والإذاعات أفادوا مرارا أنّ الإسلام لا يؤذن بالعنف البتة، ويأمر بالسلم بين المجتمعات دوما، والغربيون الذين يعرفون الإسلام على حقيقته كما أنزله الله في القرآن أعلنوا عدم إمكان ذكر الإسلام مع الإرهاب معا بأي حال، وانّ الديانات الإلهية لا تؤذن بالعنف نهائيا. وهذه الخطوات الإيجابية أراحت المسلمين، وأثبتت أنّ هناك أملا لحل المشاكل، وتلك الخطوات كانت بداية لذلك.

كان النّاس يريدون محاربة الإرهاب بشكل مؤثر، فيجب عليهم عدم اتهام أي دين أو جنسية به. ويجب كذلك تعريف الإرهاب تعريفا مشتركا، كما يجب تشخيص مصادره الاجتماعية والسياسية والاقتصادية جيّدا. وكذلك ينبغي اتّخاذ موقف مشترك في مستوى

عـالمي، وتشـخيص منظمـات الإرهـاب حسـب التعريفـات المتّفـق عليهـا بعيـدا عـن الأهـواء، وممارسة المجادلة وفقا لتلك التعريفات[2].

تاريخ الإرهاب:

لم يكتب تاريخ شامل للإرهاب، ولكن سجلت أحداث إرهابية بعد الميلاد مباشرة في المصادر الدينية خاصة. ونرى أن للإرهاب تاريخا يبلغ **2000** سنة على الأقل، حسب المصادر الدينية المسيحية واليهودية القديمة.

إنّ أول شبكة إرهابية مذكورة في التاريخ هي شبكة (زاءولت) و(سجاري) المتكونة من اليهود المتطرفين.

(زاءولت) هم مجموعة يهودية كانت تعيش تحت حكم الملك اليهودي هيروت العظيم بعد الميلاد مباشرة. واشتهروا بمقاومتهم دولة روما، ومعاقبتهم بسبب ذلك. وفي السنة السادسة بعد الميلاد، دخلت الأراضي حول القدس في حدود دولة روما، وأمر والي سورية (كورينوس) إحصاء اليهود في تلك المنطقة، وتحصيل الضرائب منهم.

لقد قاومت مجموعة (زاءولت)، وهي من اليهود الذين لم يكونوا يريدون دفع الضرائب واتجهوا إلى أعمال العنف، وتسببوا في قتل كثير من الأبرياء. وهكذا سجل التاريخ أول حركة إرهابية في التاريخ، أما السجاريون فقد كانوا يعيشون بين (زاءولت)، ولكنهم كانوا أكثر تطرفا منهم. ومعنى (سجاري) هو "الرجل يحمل خنجرا". ولقبوا بهذا الاسم لأن الخنجر كان السلاح الذين يستخدمونه في عملياتهم الإرهابية[3].

ويعد السجاريون الوحدة المسلحة لليهود المتطرفين. وقد حاولت دولة روما قمع تلك الحركة بممارسة العنف ضد اليهود الذين يعيشون في منطقة القدس، وظهرت العداوة بين الروم واليهود الذين عاشوا طوال السنوات في سلم.

والمجموعة الإرهابية الثانية المؤثرة التي نلاحظها في التاريخ، هي الحركة الإسماعيلية، أو الحشاشية، التي كان يقودها الحسن الصّباح. كان الإسماعيليون مؤثرين في الشرق الأوسط ما بين **1090** و **1275**، أي طوال **185** عاما، بالاغتيالات التي نفذوها، وتحريكهم رياح الإرهاب في الشرق الأوسط والأناضول. ويعد هؤلاء عصابة إرهابية اختصت في الاغتيالات السياسية. وكان مبدأ حركتهم " اقتل واحدا لتخيف ألفا". ولهذا السبب اشتهروا كثيرا على الرغم من قلة عددهم(4)

وتعد الحروب الصليبية نموذجا مدهشا للإرهاب الدولي الذي اقترف باسم الدين. لقد حاربت الجيوش الصليبية الأوروبية، التي كانت تتحرك باسم النصرانية التي حرفوها عن حقيقتها، الأتراك المسلمين طوال **200** سنة، وقتلوا في تلك الحروب عشرات الآلاف من المسلمين والنصارى الأرثودوكس واليهود بوحشية. ولم يستثنوا الأطفال والنساء والشيوخ والمعاقين. ويعدّ الكتاب الغربيون المنصفون المعاصرون مثل **spindlove– c.simonser– colby cosh** الحروب الصليبية من الحركة الإرهابية الدولية بغرض ديني(5).

وأمّا الثورة الفرنسية التي زودت القاموس العالمي، والحياة السياسية بمفردات جديدة، مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان، فقد حدث فيها الإرهاب الذي هو من أكبر المشاكل في يومنا هذا. وتذكر السنوات التي تلي **1789** بمدة الإرهاب في التاريخ. وقد بدأت كلمة الإرهاب تستخدم مع الثورة الفرنسية. والسبب الأساسي لاشتهار هذه السنوات بالإرهاب هو النوادي السياسية التي أسسها جاكوبين وأصحاب الثورة الفرنسية التي اندلعت للدفاع عن الديمقراطية والحقوق والحرية، بيد أن عشرات الآلاف من البشر أعدمهم جاكوبين لكونهم معارضين للثورة.

وإذا نظرنا إلى الحركات الإرهابية نجدها ذات صورة دينية وسياسية. ونرى أن السبب في ميل الناس إلى الإرهاب هو جهلهم بحقيقة الأديان الإلهية، أو تفسيرها الخاطئ، أي أنه مشكل اعتقادي. وإن كان أتباع فكر ما هم ناس قليلو الثقافة وبعيدون عن الحضارة، والذين يمكن توصيفهم بالجهل تكون نسبة ميلهم إلى العنف عالية جدا. إن الجهلاء يمكن لهم أن يؤيدوا الأفكار المائلة إلى العنف بشكل جنوني، كما يمكن لهم معارضة الأفكار البعيدة عن العنف، أو الدين البعيد عن العنف، باستعمال العنف. ومن جهة أخرى إن أصوب الإجتهادات هو الاجتهاد لفهم حقيقة دين الإسلام من مصادره الأصلية، حتى نعرف الأسباب الحقيقية لهذا المشكل، ونجد الحلول له.

تعريف الإرهاب وفهم الإسلام فهما صحيحا:

كان والتر لاكور يشير إلى عدم الوضوح في تعريف الإرهاب، لما قال في عام **1977**: "سوف تستمر المحاولات في تعريف الإرهاب تعريفا دقيقا وشاملا زمنا طويلا، ولن تنتهي بأي اتّفاق، ولن تفيد فائدة ملموسة في فهم الإرهاب فهما أحسن"[6] ويمكن تعريف الإرهاب على: " استخدام الجبر والعنف بطرق غير قانونية، وإبلاغ الضرر إلى الأشخاص أو الممتلكات لتخويف الحكومات أو الناس المدنيين، بغية الوصول إلى أهداف سياسية أو اجتماعية[7]

إن الإرهاب يخدم الأهداف السياسية مثل الحرب، لهذا تستمر هذه السياسة بوسائل أخرى، والفرق عن الحرب عدم التوازن في قوة الأطراف، حيث يكون الفرق شاسعا بين قوة الطرفين، لهذا السبب يميل الطرف الضعيف إلى استخدام العنف ليعوض عن ضعفه. ومن جهة أخرى إذا نظرنا إلى الإرهاب الممارس من قبل الدولة، نرى أن الدولة تستخدم العنف ضد شعبها، أو الشعب الذي في حدود دولة عدوة احتلتها. والعنف الذي تستخدمه ليس له معنى عسكري، بل هو لأغراض سياسية. ويمكن حدوث الإرهاب الدولي في أثناء حرب جارية بين دولتين، أو نتيجة مجادلة سياسية، ولكن المهم هو أن تحتوي هذه المجادلة العنف وعدم التوازن بين الأطراف، وأن يكون المعرضون لهذا العنف هم ناس مدنيون، وأن تكون هناك أغراض سياسية، ونستنتج من ذلك في تعريف الإرهاب أنّه ينبغي أن تكون أي عملية إرهابية بأغراض سياسية، ولكن لا يمكن لنا أن نميز بين الحرب والإرهاب بمجرد النظر إلى الغرض. ولذلك فإنّ النقطة التي توصلنا إليها هي أنّه يتعلّق توصيف أي عملية عنف أنّها

عملية إرهابية بكيفية تراعي المقاييس العامة، (أن يكون المستهدفون مدنيين، وأن تكون الأغراض سياسة، وعدم التوازن بين الأطراف) لدى النظام العالمي في ذاك الوقت. حيث يمكن اختلاف كيفية تلقي المقاييس العامة حسب القيم الغالبة لدى الحضارة العالمية آنذاك، وحسب التوازن بين المؤثرين،؟ وبذلك يمكن توصيف العمليات التي تشمل الشروط المذكورة كلها بالإرهاب، كما يمكن توصيف عمليات أو حركات أخرى بالإرهاب مع أنّها لا تتوفر لها تلك الشروط. وإذا نظرنا إلى التعريفات السابقة نرى أن ذكر الإسلام مع الإرهاب مثل " الإرهاب الإسلامي" إن لم ينتج عن عدم معرفة الإسلام (وهذا خطأ لا يمكن إيضاحه عمليا)، فهناك سوء نية إذن.

ولا ينتج من كون أغلبية مجتمع ما مسلمين أن تكون كل التصرفات المعتادة وطرق الفهم والأحكام في ذلك المجتمع إسلامية، أو أن يكون الدفاع عن تلك القيم باسم الإسلام. ويجب أن لا ننسى هذه الحقيقة عند البحث والتقدير في فهم مجموعة أو فرقة للإسلام.

إن الاختلافات تنتج عن تأويل وتعليق النصوص من قبل أولئك الأشخاص أو الفرق حسب الشروط الراهنة التي هم فيها، ولا يمكن التأكد من صحة هذه التأويلات أو التعليقات إلا بالنظر إلى مصادر الإسلام الأصلية من القرآن والسنة التي تتكون من أقوال وأفعال وتطبيقات الرسول ﷺ.

إن الإسلام دين محبة ومسامحة. وتحتوي كلمة الإسلام معاني السلام والسلامة والسلم، وليس في الإسلام خشونة ولا تعصب. لا فرق في الإسلام بين حياة فرد أو جميع الأفراد، ووضع الحكم بأنّه " لا يمكن إغراق سفينة، ولو كان فيها تاسعة مجرمين وبرئ واحد"[8]. ومن جهة أخرى علم القرآن المسلمين أن الحق يعلو ولا يعلى عليه، وأن يعدلوا، وأن لا يجرمنهم شنئان قوم على أن لا يعدلوا. وإذا نظر المرء ن هذه الجهة يفهم مدى اهتمام الإسلام بالحق والعدالة. ويحاول بعض الناس عرض دين الإسلام الذي يرى الحق أمام وفوق كل شيء كمنبع الإرهاب في يومنا الذي ساد فيه عدم العدالة الاجتماعية العالم أجمع. والحل الوحيد لهذا المشكل الواقع هو إعلاء الحق كما قرره الإسلام. فكم هي أليمة هذه المحاولات ومثيرة للتأمل فيه. إن الإسلام قدم مفهوم العدالة دائما، كما قدم الحرية والأخوة والمساواة التي هي ضمان السلام في العالم. ومن أهم خصائص الإسلام مسامحته أتباع الديانات الأخرى، وعج استناده على صنف مرتب من رجال الدين، وحرية الفكر التي يؤيدها والقيم الخلقية التي حاول تأسيسها، ورحمته بالناس، ومبدأ العدالة المطلقة، وكونه دينا عاما خالدا يشمل جميع الناس، ومفهوم الأخوة الذي جاء به، وأحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية، ومفهومه الحضاري العالي، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، ومع كل هذا شخصية الرسول ﷺ ، القوية وحيويته.

لهذا يقول الأستاذ روبرت بريفاولت في كتابة المسمى بـ" تقدم الإنسانية مشيرا إلى خصائص الإسلام هذه: الحرية لجميع الناس، والأخوة الإنسانية، ومساواة الناس أمام القانون، والأمنيات لتأسس الحكومة الديمقراطية التي تمارس التساند، وتعتمد على الانتخابات

العامة، والأمنيات التي كانت بداية لتحرير الدستور الأمريكي، والأمنيات التي ألهمت تحرير لائحة حقوق الإنسان، لم تكن هذه كلها من اختراعات وإبداعات الغرب، بل كانت أسس هذه الأمنيات كلّها موجودة في الكتاب المقدس القرآن الكريم.

أسباب ذكر الإسلام مع الإرهاب:

في الواقع إنّ هناك اختلافات في فهم وتطبيق الجماعات لهذا الدين من يوم مجيئه إلى يومنا هذا. ونتيجة هذا الفهم الخاطئ يفكر بعض الناس أنّهم سوف يدخلون الجنة بمجرد قضائهم على حياة ناس من غير المسلمين.

وادعاء أن الذين يفكرون أ،هم سوف يدخلون الجنة بمجرد قضائهم على حياة بعض الناس من غير المسلمين يتحركون باسم الإسلام ليس إلا نتيجة هذا الفهم الخاطئ. إن فكرة كهذه بعيدة عن فهم حقيقة الإسلام، كما هي بعيدة عن فقه الإسلام فقها شاملا. ولا يتعدى ذلك أن يكون ادعاء أعداء الإسلام، وحكم القرآن في ذلك هو " من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا"(9).

ولا يمكن التوفيق بين قتل الإنسان والقول إن هذا من أوامر الدين بأي مبدأ من مبادئ الإسلام. والانتقام والسلب والضغط والظلم، وإجبار الناس على الدخول في الإسلام، تسمى هذه الأفعال كلّها في الإسلام جناية.

لذلك ليس هنالك أي مبرر للقضاء على حياة الناس فيا الإسلام إلا في حالة الحرب، بل وضع الإسلام مبادئ حتى الحروب مثل عدم الإضرار بالشيوخ والنساء والأطفال، والحيوانات والنباتات في أثناء الحرب.

وتستمر الخصومات بين الحضارات بين الحضارات المختلفة حتى يومنا هذا بأشكال مختلفة على الرغم من التجارب السلبية التي عاشتها الإنسانية في التاريخ.

ويؤيد هذا الوضع مع الأسف ادعاء البروفيسور صمويل هنتينغون من جامعة هارفرد الذي قال في مقالته التي كتبها سنة **1993** بعنوان " تصادم الحضارات" لن يكون أكبر أسباب الافتراق بين الناس، وأهم أسباب التصادم سياسيا أو اقتصاديا، بل ستكون أسبابا ثقافية. ولا شك أنّ الاصطدام السياسي والاقتصادي، وسيفتح جروحا أبلغ منهما.

إن ادعاء البروفيسور هنتينغون "أن سبب التصادم في القرن **21** سيكون ثقافيا" هو عبارة عن تلخيص الوضع الراهن بعدد انحلال الإدراة السوفياتية، وبعد انتهاء الحرب الباردة بين الشرق والغرب، لأن المجتمع الغربي بحث عدو جديد بعد أن انتهت العداوة بينه وبين الاتحّاد السوفيتي مع انهيار حكمه في **1990**، ولم يتأخر كثيرا في إيجاد العدو الجديد.

كان ذلك العدو الجديد الذي جعله العالم الغربي في جدول أعماله منذ ذلك التاريخ، ويحتمل أنّه سيستمر في ذلك هو " الإسلام"، وهذا أحد الأسباب الأساسية في ذكر الإسلام مع الإرهاب مع المجتمع الغربي.

النتيجة : كيف يمنع الإرهاب؟

إنّ الخطوات التي ستعرض هنا تحتوي على التدابير التي يجب اتّخاذها لمنع الحركات الإرهابية التي تتحرّك لأغراض سياسية، وتحاول البحث عن أثر التدابير والطرق المعلومة في المجادلة الإرهابية بشكل مؤثّر.

1-إنهاء أسباب الإرهاب:

يجب تشخيص الأسباب التي تؤدي إلى الإرهاب جيدا للاتخاذ التدابير لمجادلة الإرهاب بشكل مؤثر.

وبعد محو الأسباب المؤدية إلى الإرهاب المؤدية إلى الإرهاب لن تجد منظمات الإرهاب أو الإرهابيون أي دافع للقيام بعمليات إرهابية.

إنّ ردود فعل الناس الذين ظلموا وحقروا، ولم يؤذن لهم لتعيين مستقبلهم بأنفسهم، واستعمروا باستمرار وأهينوا، هي متشابهة مهما كانت ديانتهم واعتقادهم، وأينما كانوا. والعالم إذا نظر من هذه الزاوية سيرى أن المنظمات الإرهابية لها دعايات متشابهة في كل بقاع العالم.

ولا تجتنب الدول التي تمسك القوة الاقتصادية بيدها مع العولمة لتزيد هذه القوة، وهم يتسابقون بينهم في استخدام الناس في البلاد التي يستثمرون فيها مثل المتاع، وهذا يجعل

الناس في تلك البلاد يحسون كأنهم يستعمرون، وذلك بجعلهم معارضين لتلك الدول التي تمسك القوة الاقتصادية.

وموضوع مهم آخر يجب بيانه هنا هو أن محو الإرهاب كليا لا يمكن بمجرد تشخيص الأسباب المؤدية إليه، واتخاذ التدابير والخطوات التي يجب أن تخطى في هذا الاتجاه لا بد أ نتكون مؤيدة بمبادئ الأديان، مثل الحق والعدالة والإيمان بالآخرة، ولا يحدث الإرهاب اليوم في البلاد التي توجد فيها الأسباب المذكورة سابقا فقط، بل من الواقع التحاق ناس يعيشون في دول ذات مستوى عالي من الرفاء، وهم متعلمون، وليست لهم مشاكل اقتصادية بالمنظمات الإرهابية، ولا يمكن منع الناس عن الرجوع إلى الإرهاب إلا بإيقاظ الضمير فيهم، ولا يمكن إلا بتوجيه الأديان الإلهية، وعلى رأسها الإسلام.

2-الموضوعات والمجادلة مع الإرهاب:

إن الذي يجب التركيز عليه هنا هو حدود التدابير التي يجب اتخاذها أكثر من التدابير نفسها، ويذكر بعض الناقدين أن الحكومات تبالغ في رد الفعل في مجادلة الإرهاب، ويبين هؤلاء الناقدين أن الموضوعات متعلقة بجدول الأعمال السياسية أكثر من تهديد الإرهاب.

ومن البديهي أن مفهوم المجادلة هذا يزيد التطرف خاصة حين ينتج الإرهاب استنادا إلى اعتقاد أو فكر، ويجب الاهتمام بحفظ الحقوق المدنية والحريات في أثناء المجادلة

بالإرهاب، ويجب أن يكون الموظفون بمجادلة الإرهاب حساسين في حقوق الإنسان والحريات ومن المهم كذلك أن تستخدم الدول طرقا مشروعة في مجادلتها الإرهاب، وأن لا يستهدف أي من الأديان، وأن تكون محايدة وذا مسؤولية، والمجادلة المفرطة أو الناقصة ضد تهديد إرهابي يمكن أن توسع أبعاد الأزمة، وتجعلها أكثر خطرا.

إن استخدام القوة المفرطة، وخاصة التشكيل، يدل أن الدولة لا تستخدم الخيارات الاستراتيجية بشكل صحيح في مجادلتها الإرهاب، والتنكيل والمعاملة السيئة، والتدابير المبالغة في مجادلة الإرهاب تؤدي إلى نتائج أسوء، ويبين ريوس أن التنكيل بالإرهابيين من قبل قوات الأمن يدل على إهانتهم، وعلى عدم الاهتمام بهم، ويستحيل السيطرة على الإرعاب بعد التنكيل ولو لمرة واحدة.

الهوامش

1-من خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش بتاريخ 11 أكتوبر .2001

2-خطاب أحمد نجدت سيزر في اجتماع منظمة المؤتمر الإسلامي والإتحاد الأوروبي في اسطنبول بتاريخ 12 فبراير 2002.

3-Peter Connolly, Living in the time of Jesus Nazareh

4-Bernard LewisM A radical sect in Islam New YorkM Oxford University Press.1987.

5-Terrorism Today, The past, the players, the future C.E Si;onsen et J.R.Spindlove printesse hail 2000 N Y.

6-Omer Malik, Enough of The Definition of Terrorism, Brookings, 2006

7-Terrorism in the United States, FBI.1997.

8-سعيد النورسي، المكتوبات، المكتوب.22

9-القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية32.